المبحث الأول

أولاً: وظيفة تطوير العقدة:-

أ: قصة: "السد يتحطم ثانية":-

قصة "السد يتحطم ثانية" من قصص الكاتب التي ضمتها مجموعته الأولى " كتابات تطمح أن تكون قصصاً" هذه القصّة تحمل آراء وأفكار الكاتب حول قضية واقعية في المجتمع العراقي وهي قضية الصراع بين قوى الشر والظلم ، وقوىالخير والعدالة بين طبقات المجتمع من الغنى والفقر. الحدث الرئيس في القصّة هوتحطيم السد للمرة الثانية. أخذنا هذه القصّة كنموذج تطبيقي لوظيفة تطوير العقدة في القصة عن طريق الحوار الذي كتبه الكاتب بصورة مشوقة ومتدرجة إلى أن يصل إلى ذروته ثم انتهائه.

إن الصراع الذي نجده هنا هوصراع خارجي بين الشخصيات، حيث يمثل طرف المعادلة الأولى: شخصية "صاحب المزرعة" و"مختار القرية"، لأنهما يشبهان بعضهما بعضاً في التفكير، والمصالح، والشر، والسيطرة على مياه القرية، والاستيلاء عليها لصالحهم وحرمان أهل القرية والفلاحين منها، أما الطرف الثاني فيمثله "خورشيد" و"شيركو" و"أهل القرية" بصورة عامة، وهم الطرف الذي ظُلموا من قبل المختار وصودرت حقوقهم من المياه، وهم يحاولون إرجاع الحق لأصحابه ولأهل قريتهم، لأن المياه ملك للجميع وليس لمزرعة أوحقل واحد. وإن عملية "تحطيم السد" أثارت نقاشاً وحواراً بين "صاحب المزرعة" و"مختار القرية" حيث عبر "صاحب المزرعة" عن استيائه وغضبه على هذا الفعل، ورأى أنه فعل مهين، لأنه لم يمض وقت كثير على بناء السدّ منذ أن وصل إلى القرية قبل شهرين.لقد تحطم السد ثلاث مرات في مدة قصيرة ونجد ذلك في الحوار الآتي :-

((صاحب المزرعة: أليس لديك ما تقول؟

وارتبك المختار كما لو كان طفلاً ضبطه أحدهم في سرقة:

المختار: والله يا سيدي..إنّه..إنّه..أمر محير..محير حقاً. وأنا.أنا لا أدري ماذا أقول... ولاماذا أفعل.

قال صاحب المزرعة وصوته ينم عن غضب أشد:

صاحب المزرعة: ومع هذا فأنت المختار وليس أنا. وعليك تقع المسؤولية كلها)).[1]

هذا الحوار الذي دار بينهما دليل على أن "المختار" بجانب "صاحب المزرعة"، كما أنه خائف وواقع تحت سيطرة "صاحب المزرعة"، لأنه رجل غني وذو نفوذ، وله السلطة على الكل حتى "المختار". وأنه خائف وراضٍ بما يقوله "صاحب المزرعة" كما أنه واقع في حيرة، لأنه لايعرف من تسبب في تحطيم السد.

وعلى الرغم من أنه مختار القرية إلا أنه لم يكتشف الفاعل، وهذا هو الذي جعل "صاحب المزرعة" يشكك في قدرته وعدم كفاءته ومعرفته لأمر كهذا حصل في القرية. وألقى عليه المسؤولية كاملةً لماحصل وما وقع من أضرار.

ثم حاول الكاتب أن يجعل الصراع أكثر حماسةً وتطوراً عن طريق حوار "المختار" مع" أهل القرية" لأنه أراد أن يكشف الفاعل -أي من الذي حطّم السد- وأصبحت مهمة الكشف عن الفاعل من مهمة المختار وحاول إيجاده بأية طريقة كانت، وأراد بذلك أن يثبت إخلاصه وتبعيته لصاحب المزرعة. وقام بجمع أهل القرية في اجتماع عاجل، لكن مع هذا كان حائراً ومرتبكاً حول ما يقوله لأهل القرية، وكيف يواجههم، واستجمع كل قواه عندما وجد أهل القرية مستمعين إليه وساكتين ومنتظرين ما يقوله لهم "مختار" القرية:-

((فانطلقت الكلمات من بين شفتيه بسرعة:-

مختار القرية: والذي فعله هذه المرة، كما في المرتين السابقتين، واحد من هذه القرية))[1]

(1) قصة"السد يتحطم ثانية"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 7.

وهنا يتبين أن المختار لم تأتِه شجاعته من ذاته أو من إدراكه الشخصي، بل من سكوت أهل القرية ظناً منه أن أهل القرية خائفون، وصامتون، وينتظرون عقوبة ما بسبب ما إرتكبوه من جرم بالنسبة للمختار وصاحب المزرعة وهو تحطيم السد للمرة الثالثة على التوالي، حيث وجه المختار التهمة مباشرة إليهم، وقال هذا الأمر بصورة أكيدة، إلا أنه كان خائفاً ومتردداً من إطلاق هذه التهمة عليهم وكان قلقاً بشأن ردة فعل هؤلاء الناس.

وكان خوفه وتردده في محله بشأن ردة فعل الفلاحين على ما اتهمهم به بصورة صريحة ومباشرة، إلا أنّه لم يرد أن يبين لهم هذا الأمر، ولم يرد إظهار خوفه أمامهم، لأنه باعتقاده مادام " صاحب المزرعة "يمثل الحكومة، أي السلطة والقوى الحاكمة فإنه ليس بمقدور أحد أن يعترض طريقه أو يعارض رأيه أو حتى يواجهه، وهذه الثقة والتخيل جعلته أكثر تأكيداً في اتهامه وإطلاقه، حيث قال في حوار معهم:-

((المختار: أجل أنه.. بين.. بين.. بين... بيننا))[2]

إلا أننا نجد في نهاية الجملة ضمير "نا" المتكلم بحيث شمل المختار نفسه، وجعل من نفسه واحداً منهم، أي من الذين تسببوا في تحطيم السد، ولكنه ظل خائفاً ولم يستطع أن يقول "بينكم". وكلمات "المختار" وحواره مع أهل القرية جعل الصراع يشتد والحدث يتطور بوساطة الحركة والحيوية لكي ينتقل إلى مراحل أخرى من خلال حوار الشخصيات.

وبعد إدراك خطورة وحساسية ما قاله "المختار" وإتهامه أحس بخوف شديد وقلق بالغ قال:-

((مختار: إ... إ.. إنه، عمل لا يليق بنا كناس فاهمين... فالسد... قد اقيم لنا، لصالحنا... لصالح القرية كلها.

(1) قصة"السد يتحطم ثانية"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 8.
(2) م. ن، 8.

الحاج غفور: بل لصالح صاحب المزرعة... وحده...

خورشيد: أسكت يا عمي الحاج.. والا حسبك أنت الفاعل))[1]

إلا أن المختار شارك مرة آخرى مع أهل القرية وعدّ نفسه واحداً منهم عندما قال "أقيم السد لصالحنا" أي لصالح أهل القرية جميعهم بما فيهم المختار. لأن الذي جعله ينطق بهذا الشكل هو خوفه، لأن الواقع مختلف عمّا كان يدعيه المختار، وكان" الحاج غفور"من أهل القرية قد نطق بقول الحقيقة والحق، وكان صوته يمثل الصوت الداخلي لمختار القرية في لاوعيه. لأن السد لم يشيد من أجل أهل القرية، بل شيّد من أجل مصلحة "صاحب المزرعة"لذلك قول:-

{الحاج غفور= مع قول الداخلي للمختار أي /الحاج غفور/ = الحقيقة}

وهذه الحقيقة مدركة بالنسبة للمختار، ولكنه يخشى الاعتراف بها أمام أهل القرية، لأنه يدرك ما سيكون عليه جوابهم ورَّدة فعلهم، وهو يشعر بها عندما ينظر إلى عيون أهل القرية وماتعكسه كل تلك العيون من شعور بالاستياء، والغضب، لاستلاب حقهم في مياه قريتهم، وهذا تأكيد على أن المختار يتآمر مع الغريب من أجل مصالحهم الشخصية وحرمان أهل القرية من الماء.

إلا أننا نجد أن قول " خورشيد" ومحاولته اسكات " الحاج غفور" وضع أهل القرية في حالة من السكوت، والخوف، وعدم الرد على المختار، والجرأة في قول الحقيقة، لذلك حاول"خورشيد" إسكاته على رغم قوله للحقيقة، لكي لايحس المختار أن "الحاج غفور" هو الفاعل. وهنا يتضح أن "المختار" في موقع قوي يهاجم و" أهل القرية "في موقع الضعيف للدفاع عن أنفسهم، والسكوت أدى إلى أن يظن المختار أنهم يخافونه لذلك تشجع، وقال:-

((المختار: هل رأيتهم؟ وأضاف بعد توقف قصير:

المختار: فالفاعل بينكم.

المختار: إذن، فهو واحد منكم، لم يخطيء ظني أبداً.

(1) قصة"السد يتحطم ثانية"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 9.

وكاد يصرخ وهو مستسلم لانفعاله:

المختار: ولكن من؟ من منكم يمكن أن يقدم على هذه الفعلة النكراء؟))[1]

هذا الكلام والشعور بالرضا لدى المختار لكونه اقترب من كشف الفاعل حسب ظنه، حيث اتهم أهل القرية بأن الفاعل واحد منهم جعل من الحدث يتطور أكثر فأكثر إلى أن وصل إلى قمته في حوار "خورشيد " مع "شيركو":-

((انتفض خورشيد، وهب واقفا ولكن صديقه شيركو شدّه:

شيركو: إجلس ولاتكن أحمق.

خورشيد: إنه يقذفنا بالخيانة، كما لو كنا نحن الذين بعنا أنفسنا لذلك الدخيل.

شيركو: اسكت... إنها طريقتهم القذرة لمعرفة... ما يريدون.

ونشجع المختار أكثر... وأكثر، اذ لم تطرق اذنيه كلمة احتجاج واحدة)).[2]

هذا دليل على أن وراء صمتهم وسكوتهم هدفاً معيناً لكي يُوقِعوا بالمختار كي يكشف كل أوراقه وكل ما في جعبته، وكل ما ينوي أن يفعله، وهذا الحوار جعل من الحدث يتطور أكثر ويقترب أكثر من ذروته وتكثيفه، لأنه أظهر الأصوات التي لاتقبل بالظلم والتهمة لمجرد أنهم من الطبقة الفقيرة ومن الفلاحين إلا أن لهم الحق في الدفاع عن أنفسهم، وإن قول خورشيد ودفاعه هو المحاولة الأولى لبداية جديدة وموقف آخر مغاير لأهل القرية تجاه اتهامات المختار لهم وإنهم لن يقبلوا اتهامهم بما لم يفعلوه من خيانة وبيع ضمائرهم وأرضهم ومياههم من أجل المال والسلطة. وهذا واضح في قول خورشيد عندما قال "كما لوأننا بعنا أنفسنا للدخيل" وهذا إشارة إلى أن المختار هو الوحيد الذي باع نفسه. ولكن سكوت "خورشيد"لم يدم لمدة طويلة، عندما قال" المختار" إن لإقامة مثل هذا السد منافع وخيرات كثيرة على أهل القرية جميعاً، وليس على صاحب المزرعة فقط، لكن هنا استنفد صبر" خورشيد" ولم يتحمل السكوت أكثر وقال:-

(1) م. ن ، 9.

(2) قصة"السد يتحطم ثانية"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"،10.

((خورشيد: دعني.. ياشيركو....

وصرخ في وجه المختار....

خورشيد: الا قل لي ياحضرة المختار. ماهي الخيرات والمنافع التي جنيناها... أو جنتها القرية من هذه المزرعة الغريبة. ومن هذا السدّ بالذات؟ لقد ماتت كل مزارعنا، أو كادت.... لتروي مزرعة واحدة، يمتلكها شخص غريب، دخل قريتنا في ظروف غامضة. فاشترى منك ومن أبيك أراضيكم ليحيلها إلى مزرعة تمتص الحياة من سائر مزارعنا...

خورشيد:

وإذا كان قد اشترى منك ومن أبيك الأرض، فذلك شأنكما. وهو لم يشتر النهر على أية حال. فالنهر ملك الجميع. كان ملك الجميع ويجب أن يظل ملك الجميع)).[1]

وهذا الحوار الذي دار بين "خورشيد" و"المختار" أثار العديد من التساؤلات لدى أهل القرية لأن سؤال "خورشيد"لم يكن سؤاله وحده، بل كان سؤال الجميع،ولكنه انطلق من الفرد إلى الجماعة ، وبذلك تغير موقف أهل القرية من الضعف إلى القوة، وتغير موقف المختار من القوة إلى الضعف.

لأن بناء ذلك السد لم يكن إلا عائقاً أمام أهل القرية وكان يعيق تدفق المياه إلى حقول الفلاحين ومزارعهم، أما نفعه فهو لصاحب "المزرعة" وحده كما، ظهر في الحوار طمع المختار وجشعه وعدم وفائه لقريته وأهلها عندما باع ما تملكه من أملاك وأراض من أجل المال. كما أكد أيضاً أن النهر ملك للجميع وملك لأهل القرية وإنه نعمة من الله سبحانه وتعالى على خلقه وعلى الأرض من أجل البشرية لكي يستفاد منها، ومن نعمها الكثيرة.

وبعد ذلك بدأ الصراع تزول حدته إلى أن وصل إلى النهاية التي وضعها الكاتب كنهاية للقصة ولحظة اكتشاف من هو الفاعل. لأن ما أكده "خورشيد"وموافقة

(1) م. ن، 10 – 11.

جميع "أهل القرية" على تلك الأقوال والحقائق جعل من المختار في حالة القلق والخوف وانتهى الحوار بهذا الشكل بينهما:-

((المختار: إذن فأنت الذي تخرب السد كل مرة.

وهم خورشيد أن يتكلم، ولكن شيركو سبقه:

شيركو: ليس هو.

وتبعه الآخرون:

ليس هو... ليس هو.

وتشبث المختار ببقايا شجاعته التي استجمعها قبلما تغور وتتلاشي، ونفخها في هذا السؤال:

المختار: من اذن؟

صاح شيركو بصوت قوي:

شيركو: كلنا.

وتبعه آخرون:

كلنا... كلنا... كلنا.))[1]

تغير الموقف الفردي إلى الموقف الكلي/ الجماعي من قبل أهل القرية وقرارهم بعدم الصمت والاستسلام لقوة الشر، والظلم، لقد اختار جميعهم المواجهة وشدّ وأزر بعضهم بعضاً. وساندوا "خورشيد" في موقفه فوقفوا ضد"المختار"وما يريد أن يحققه عن طريق" صاحب المزرعة "في القرية، لأن" صاحب المزرعة " يمثل الحكومة، وهو بالتالي يمثل السلطة الحاكمة، والشر، والظلم، واستلاب الحقوق من أهل القرية، لذلك صرح" مختار القرية" لأهل القرية أنه ليس لديه أي حل إلا اللجوء إلى العنف وتعيين حراس مسلحين من الحكومة ليحموا السد بعد بنائه من جديد، وهذا يدل على إستمرار محاولاتهم للشر والفساد عن طريق العنف واستخدام القوة والأسلحة، وذلك للتصدي لمحاولة تحطيم السد مرة آخرى.

(1) قصة"السد يتحطم ثانية"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 11.

هكذا كانت النّهاية انتصار قوة الخير على قوة الشر والفساد، لأن أهل القرية قد وحّدوا إرادتهم القوية،وبذلك استطاعوا الوقوف بحزم وإصرار على إزاحة السد من الوجود مع "خورشيد" و"شيركو" وازيل السد واندفعت المياه والحياة إلى القرية ومزارعهم وحقولهم مرة آخرى.

ب: قصة: "اضطراب في ألوان النهار":-

بدأ الكاتب هنا بتحريك الحدث عن طريق الحوار الخارجي والداخلي مع البطل، ثم كشفه بصورة متدرجة مع الإحتفاظ برغبة القاريء للمتابعة المستمرة لما سيحدث بعد؟ وطرح الاسئلة المتعددة.

في قصة " اضطراب في ألوان النهار" نجد الحدث الرئيس يتطوّر من خلال حوار الشخصية الرئيسة مع الشخصيات الأخرى ويتضّح الحدث ويكتشف من خلال ما تشعر به الشخصية من هواجس وأفكار في داخله، أي في حالة الوهم التي تعيشها ويجعله قلقاً في داخله ويسبب له اضطراباً نفسياً عميقاً.

تدور احداث القصة حين توهّم البطل أن هناك جثة هامدة فوق سريره عندما عاد إلى "النزل"، بسبب ما كان يشعر به من التعب والإرهاق، بسبب تشريح جثة فتاة في العشرين من العمر في المشرحة، لأن البطل كان طالباً في كلية الطب وسوف يصبح طبيباً في المستقبل. هذا الحدث قد أثار الكثير من الأسئلة، مثل: لمن تعود هذه الجثة؟ من تكون؟ لماذا وضعت هناك؟ من هو القاتل أو من الذي ارتكب هذه الجريمة؟ و العديد من الأسئلة التي اثارتها الجثة المتوهمة داخل رأس البطل "آزاد" عن طريق حوار داخلي مع نفسه حول ما يراوده من شكوك ووهم من خلال قوله:-

((آزاد: عبثاً أحاول أن أجد تفسيراً لهذه الظاهرة الغريبة الشاذة... التي تكاد تجنني... تقضي على البقية الباقية من عقلي، جثة... ممددة... فوق فراشي؟ كيف ؟ متى... متى؟ انا لا اترك الباب مفتوحاً قط.. و... و.. ولكن صاحبة الدار يملك مفتاحا ثانياً.. وماذا يعني... فس... انه لا يعني شيئاً. توقف. اختض.. كيف؟

كيف لا يعني شيئاً يا غبي؟... هه... وماذا يعني... ؟.....

أتكون هي التي ابقتها في فراشي؟ لماذا، جثة من تكون؟زوجها؟ لا.. انه في الكويت... ما الذي اتى به؟ لا... لا... النادل الذي يشغل الغرفة التحتية مع زوجته الصبية؟ اه... لم لا... ؟ ولكن لماذا؟... أيكون قد تشاجر مع احدهم بسبب زوجته، كما اعتاد أن يفعل دائماً، بسبب غشه في اللعب؟))[1]

هذا الكم الكثير من الأسئلة قد جعل الأمر أكثر حماسةً وشوقاً حيث يريد القاريء أن يعرف لمن تعود هذه الجثة ؟ ومن فعل الجريمة؟ إن مثل هذه التساؤلات قد جعلت الحدث يتطور وينتقل إلى مراحل أخرى متقدمة. حيث تكون الأجواء فيها أكثر توتراً وغموضاً عما كانت عليه في السابق، لقد تطور الحدث إلى مراحل أخرى من حيث ظهور شك"آزاد" حول صاحبة النزل التي كان يشبهها ب"كومة التبن" أو"كتلة اللحم"، ويشك أيضاً في أن يكون النادل الذي يسكن في المكان نفسه. لقد خلق القاص في نفسية البطل تشابهاً بين "الجثة الهامدة" المتخيلة أو الوهمية في غرفة "آزاد" وبين جثة "الفتاة" في العشرين من العمر عندما قام بتشريحها أثناء الدرس التطبيقي، وكلتا الجثتين الساكنتين ليس فيهما أية حركة، لأن حالة السكون تنسجم مع حالة "آزاد"وحاجته إلى السكون، والنوم، والهدوء بسبب ما يشعر به من تعب، وضغط نفسي، وارهاق، والحرارة المرتفعة للجو، وانزعاجه من مكان إقامته، واضطراره إلى تحمل صاحبة النزل، ومن كان يعيش معه في ذلك المكان. وهذا الأمر ساعد بشكل كبير على ازدياد قوة الصراع الداخلي للشخصية، وبالتالى انعكاسه إلى ماهو موجود في الخارج ومن حوله، وهذا أدى إلى تطور الحدث بشكل مشوّق نلمسه خلال قراءتنا للقصة.

ويستمر"آزاد" بهذه الشكوك داخل نفسه في مقطع آخر من حواره الداخلي عندما اعترف بينه وبين نفسه بأمور خفية في اللاشعور منها: إنه كان يشتهي زوجة النادل إلا أن هذا الأمر كان مخالفاً في الواقع لما كان يدعيه من أخلاق عالية نبيلة ورصينة، وحسن السلوك، لأن هذا التفكير لاينسجم مع ماهو عليه، لأنه سيصبح

(1) قصة"اضطراب في ألوان النهار"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 59.

طبيباً ولـه قدر من الثقافة، والمعرفة، وهذا زاد عنده صراعه الداخلي بين قيمه الأخلاقية ، ووضعه الجديد الذي يعيشه في هذا الوقت وهذا ما نجده في حواره مع ذاته :-

((ولكن لماذا يلقي بالجثة في غرفتك أنت؟ أنت بالذات؟ أنت الذي لم تسيء اليه قط؟ ولم تشاركه أيا من الاعيبه القذرة؟ صحيح أنك تشتهي زوجته الحلوة البضة... وقد حاولت مرة أو مرتين... أن... أن.. ولكن مراقبة مدام صباح له الدائمة... ونظراتها التي تلتصق بظهرك على الدوام... لم تدع لك أية فرصة للاختلاء بها... حتى ادركت... عبثية، ولاجدوى سائر محاولاتك، فاقلعت عنها تماماً... وإن ظلت الرغبة فيها تساورك، كلما خلت الدار من انفاس مدام صباح)).[1]

إن خوف "آزاد"وقلقه من القانون يمثل جانباً آخر من القصّة، فهو كان خائفاً من لحظة اكتشاف الجريمة. لأن وجود الجثة في الغرفة يثبت التهمة عليه مع أنه ليس بفاعل، وهذا جعل البحث عن الفاعل في صورة درامية مشحونة بالحركة والانفعال والترقب من قبل القاريء إلى ماذا سيؤول إليه الأمر، هل نكتشف الحقيقة ونسلم أن هناك جثة؟ أم إنه مجرد هلوسة ووهم لدى البطل؟ هل الحقيقة أن وجود الجثة نتيجة عملية القتل؟ ومن يكون الفاعل؟ هل هو "آزاد" أم غيره؟ بهذا الشكل تتطوّر الأحداث وتتصاعد كلما مضينا في دوامة الأسئلة اللانهائية لمعرفة الإجابة وخوف البطل من أن ينال جزاءه عن طريق القانون فيقول:-

((ألق بالجثة من النافذة، ولاتدع أحداً يشعر بها، أو يعرف عنها أي شيء. وصوت ارتطامها؟ واكتشافها فيما بعد؟ الحديقة مكتظة ولايمكن اكتشافها سريعاً، اه حقاء!!! لا... لا... ستتعفن.. وتملاء.... عفونتها الدنيا... لا... القانون لايرحم... ثم... ثم لابد أن اعرف الفاعل الحقيقي))[2]

(1) قصة"اضطراب في ألوان النهار"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 60.
(2) قصة"اضطراب في ألوان النهار"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً،60.

ويشتد الصراع الداخلي لدى "آزاد" لأنه يحاول أن ينقذ نفسه ويكشف لنا ولنفسه الفاعل، فيتبادر إلى ذهنه أفكار متناقضة مع قيمه الأخلاقية منها فكرة التلصص واستراق السمع وراء أبواب الغرفتين في النزل لعله يعرف الجواب المناسب لأسئلته الكثيرة التي سببت له كل هذا التعب والارهاق، ويبدو من الوهلة الاولى أنه تراجع عما كان يفكر به، لأنه في هذا الوقت عاد إلى العالم الواقعي وخرج من الوهم لمدة قصيرة جداً، وشعر أن هذا الفعل أمر سيء ومهين، وأنه لايمكن أن يقوم بأمر مماثل كهذا،ويظهرذلك في حوار مع ذاته:-

((لا... لا... يالها من فكرة حقيرة... كيف يمكن ان اسمح لنفسي... بالتلصص على الاخرين.... و التقاط انفاسهم... وان افتح... أذني لهمساتهم الخاصة... وهم في مخادعهم. لا... لا.. أبداً... أبداً..

ولكنك مع هذا.. فها انت تنزل السلم متلصلصاً... وحالك هذه تفضح ما نويته... لا...لا... ان ذهني خال من أية... فكرة يمكن ان انفذها... فقط اريد أن ابلل ريقي..)).[1]

وما يشعر به من تناقض في أفكاره ومشاعره إلا أنه في قرارة نفسه ما يزال يريد أن يقوم بعملية المراقبة والتلصص لعله يعرف الجواب. وهذا الأمر وزاده قوةً ورغبةً في معرفة ماذا سيحدث بعد. إلا أن هذه العملية لا تنجح لأن " مدام صباح " تمسك به عندما ينزل من السلم وينظر إلى غرفة النادل وزوجته الجملية كلاهما يفهم " آزاد"بشكل مختلف "مدام صباح" ترى أنه معجب بزوجة النادل ويراقبها وتغضب لما رأته من موقف له، وقالت إنها لا تسمح بوجود أمور معيبة أن تحصل في النزل، لأنها يهمها شرف المكان، أما "النادل" عندما رآه أمام نافذة غرفتهم هاج غضبه وأراد أن يقوم بأرساله إلى السجن أو قتله، لأنه أحس برغبة " آزاد"في الحصول

(1) م. ن،60.

(*) ملاحظة: بطل القصّة اسمه "آزاد" في هذه المجموعة، وعندما اعيد طبع القصص ونشرها في كتاب (الأعمال اقصصية)/ المجلد الأول... تغير اسم البطل إلى "شيرزاد".

على زوجته منذ مدة طويلة وعندما ذكر أمر السجن والشرطة ارتعب، وفوراً تذكر الجثة الموجودة في الغرفة.

وفي النهاية جعل القاص موقف البطل يتغير بصورة مفاجئة وهو لجوء " آزاد" إلى "مدام صباح" نتيجة سببين: أولاً الخوف، ثانياً: الرغبة، لأن موقفه منذ البداية كان مختلفاً وكان يكره تلك السيدة ولم يطق سماعها وحتى النظر إليها وكان ينظر إليها بصورة مستهزئه ومستخفة لكن نتيجة شعوره بالخوف والقلق خوف وقلق وجد في تلك المرأة مكاناً آمناً للاختباء والسكون والراحة، لأنه وجد فيها حنان الأم عندما ضمته إلى صدرها مواسيةً وكذلك الدفء والرغبة كأمراة. وذلك في حوارهما:-

((مدام صباح : ماهذا ؟ أتبكي يا حبيبي... لا.... لا... يا حبيبي))[1]

وصلت القصّة إلى النهاية وانكشفت حقيقة الجثة، لأن " آزاد" بعدما لجأ إلى "مدام صباح" وقبل بمواساتها على الرغم من أن الأمر كان منافياً ومتناقضاً مع موقفه السابق من المرأة البدينة. لقد شبه الناقد "صباح الانباري" " آزاد"بـ"اوديب" في انسياقهما إلى المرأة ومواقعتها عن طريق الرغبة والقوة إلا أن الفرق بينهما هوأن "اوديب" كان نادماً، في حين لم يراود " آزاد" الندم تجاه ما فعله من خطيئة مادامت الخطيئة وفرت له الامان واللذة معاً.[2]

لقد وصل الصراع إلى نهايته عندما كشف "آزاد" عن حقيقة شعوره بالخوف من وجود جثة ما في غرفته وكشفه لمدام صباح في حوارهما:-

((آزاد: يامدام... في غرفتي تقبع جثة.

مدام صباح : جثة؟

وقفزت من الفراش، مرعوبة، جاحظة العينين:

مدام صباح : جثة..؟ اقلت جثة؟.. جثة حقيقية؟

(1) قصة" اضطراب في ألوان النهار"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 66.
(2) ينظر: المخيلة الخلاقة، 79.

آزاد: أرتدي ملابسك – لأريك.))[1]

إن قول لفظة الحقيقة عكس الوهم والتخيل، وبهذه الثيمة كشف القاص عما كان يعاني البطل من عقدة نفسية لذلك توهم بوجود جثة، أي إنه لم يكن هناك جثة أبداً وفاجَأنا القاصُ بهذه النتيجة وذلك في حوارهما :-

((مدام صباح: أين هي الجثة، يا حبيبي؟

عقدت الدهشة لساني، لم احر جواباً.

مدام صباح: أين هي؟

ازاد: كانت هنا، ممدة فوق الفراش، لقد أبصرتها بعيني، هاتين... كانت هنا.... هنا...

ازاد: هنا؟... هنا بالضبط....؟

وفتر ثغرها عن إبتسامة وهي تطوقني بذراعيها وتسحبني نحوها برفق:

مدام صباح: تعال... ياحبيبي... تعال نم... اه.. كم انت متعب))[2]

بهذه النتيجة إنتهى الصراع وكشف القاص عن الحدث بوساطة الحوار الذي أوضح نهاية القصة المفاجئة غير المتوقعة بطريقة متميزة دون أن نفقد كقراء الرغبة في متابعة الحدث وماذا سيكون مصير الجثة. ووضح لنا حالة البطل أيضاً وماكان يعانيه من إنفصام عن العالم الواقعي والدخول في عالم الوهم والهواجس حيث كان يعاني من الخوف والخجل والرغبات الخفية في داخله.

ثانياً: وظيفة رسم الشخصيات:-

إن الشخصية من العناصر المهمة في العمل القصصي، لأنها تساعد على إضفاء الحيوية والحركة علىالعناصر الأخرى في داخل القصّة عن طريق الحوار وما تنطق به تلك الشخصيات من أقوال، يتبين منه أمور كثيرة متعلقة بها. منها ما يتعلق

(1) قصة" اضطراب في ألوان النهار"من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 68.
(2) م. ن، 68-69.

بالبيئة، والمكان، وطبقتها الاجتماعية، آيديولوجيتها في الحياة. إن الشخصية لها دور مهم في تطور حركة الصراع، سواء أكان الصراع بين أطراف خارجية أو داخلية نفسية.

نستطيع أن نقول إن أكثر الشخصيات الموجودة في قصص كاتبنا لها دور مهم في حركة الصراع داخل النص القصصي كما إنها نماذج مأخوذة من الواقع المعيش للكاتب ومن بيئته، سواء أكان في الماضي وما يتعلق بذكريات الطفولة أو ما عاشه في الوقت الحاضر، إنه يأخذ شخصياته إما من التراث أو من الأساطير، وأياً كان نوع هذه الشخصيات. إلا أننا نجد أن الكاتب استطاع عن طريق الحوار أن يكشف عن بيئة تلك الشخصية وطبقتها الاجتماعية، وماتعانيه من مشاكل نفسية وعُقَد، وغيرها من الأمور. والحوار الذي تنطق به الشخصيات تتوافق مع الشخصية ومع مستواها الثقافي بصورة ملائمة جداً لأننا لانجد تناقضاً بين الشخصية وقولها أو ما تنطق به، ويتناسب مع الموقف الذي تكون فيه تلك الشخصيات إن كانت في مواقف غضب، أوحيرة، أوخوف، أوشر، أو في مواقف حب وعاطفة.

١- رسم الشخصيات من خلال البعد النفسي:

أ: قصة: "حرمان":-

قصة "حرمان"هي من القصص الواقعية التي تحدث فيها الكاتب عن حادثة، وقعت في زمن الطفولة وتسببت في عقدة نفسية للصبي "شوان" الذي يعاني من شعوره بالحرمان نتيجة ما وقع له. إن العلاقة بين "شوان" و"الحرمان" علاقة متوازية، أي أن "الحرمان" هو الحالة التي يعاني منها "شوان"ونعرف أسباب حرمانه الذي جعله يعاني من النقص من خلال حواره، لأن الكاتب رسم الشخصية بطريقة دقيقة من خلال جانبها النفسي وما كان يعانيه وما الذي جعله يعاني؟ وما هي أسباب مايشعر به. إن أول معلومة أعطاه الكاتب عن "شوان" في حواره مع أصدقائه:-

((محمد : شوان... شوان، خرجت من المستشفى؟))[1]

وبعد ذلك يستمر الحوار بهذا الشكل:-

((الصبيان: شوان متى خرجت...؟

شوان: اليوم – صباحاً..

الصبيان: شوان... كيف تشعر؟ هل تحسنت رجلك))[2]

نتعرف حالة "شوان" أولاً عن طريق لفظة "مستشفى" لأننا نعرف أنه" قد خرج من المستشفى وأن دخوله كان بسبب شيء لا نعرفه؟ هل كان بسبب إصابته بمرض ما؟ أوهل وقعت له حادثة؟ بعد ذلك أعطانا معلومة أخرى عن طريق الحوار وهو مكان اصابته الذي كان، ولكن ماهي تلك الإصابة؟وما السبب وراء الاصابة؟ وأي شيء أصاب رجله؟ وغيرها من الأسئلة المتعددة المستمرة التي خلقها القاص لنا لكي نتابع قصته بشوق ورغبة، لنعرف اصابة "شوان" وسببه.

وفي موضع آخر في الحوار يصبح لدينا معلومة جديدة تربطنا مباشرةً بلفظة "الحرمان" وعلاقته بـ "شوان":-

((الصبيان: شوان تستطيع السيربها...

شوان: لا.... حتى الان... لا..

الصبيان: يعني.... يعني... لاتسطيع مشاركتنا اللعب؟))[3]

إن هذا الشعور الذي شعر به متفق تماماً مع حالته الصحية والجسمية، لأن الإعاقة كانت سبب عدم مشاركته في اللعبة، وهي حرمته ذة الاستمتاع مع الأصدقاء. الذي جعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة له وزاد من شعوره بالضعف هو عجزه وهذا الأمر فاقم لديه شعوره بالغيرة والغضب، ويظهرذلك في حواره مع فريق "دلشاد"وصديقه القريب "محمد"أنهم لايتقنون اللعبة مثله مهما حاولوا:-

(1) قصة" حرمان "من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 19.
(2) قصة"حرمان "من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 19.
(3) م. ن، 19.

((شوان: ما اسرع ما سقط الجميع... واضاف شوان باستهانة بالغة بقدراتهم في اللعب.

شوان:ما يعرفون اللعب)).[1]

وحواره عن صديقه "محمد" قال:-

((إذ سرعان ما سقط... هو الآخر.. فقال بألم:

شوان: وقع... وما أصاب أحداً

وأصناف: ما يعرف... هو الآخر مايعرف..)).[2]

في هذا المشهد "شوان" يراقب الأصدقاء من بعيد وهم يقعون في اللعبة لا يعرفونها جيداً وضع نفسه في وضعية المقارنة بينه وبين أصدقائه الذين لا يعرفون اللعبة جيدًا مع أنهم غير مصابين، ولكن هو يعرف اللعبة وشاطر فيها إلا أن الإصابة لاتسمح له باللعب. وكان يستخف بقدراتهم على انهم لا يعرفون اللعبة. وهذا هذا الشكل يوضح الأمر:-

{شوان ← الإصابة ← معرفة جيدة بـ "اللعبة"← غير مسموح له}

{ الأصدقاء ← عدم الاصابة ← معرفة غير جيدة بنظر "شوان" ← مسموح لهم}

بعد ذلك استرجع القاص لحظة وقوع الحادثة مع "شوان" التي سببت له الأصابة، وذلك حديث له مع نفسه أنّب نفسه لما فعله تلك الليلة وخرج مع أصدقائه وتأخر عندما كانوا يتسلقون أشجار الزيتون، ولم يحسوا بالوقت لشدة فرحتهم، ولعبهم، وضحكاتهم ونسوا أن الأهل بانتظارهم. وبعد ذلك أخذ "أخ شوان" يبحث عنه ولشدة خوفه من أخيه وماينزل به من عقاب بسبب تأخره في العودة إلى البيت قذف نفسه من أعلى الشجر وسقط وأصيبت رجله اليمنى ويظهر ذلك في "شوان"مع صديقه "محمد":-

(1) ن، 20.
(2) ن،20.

((وفجأة صاح به محمد:

محمد: شوان - أخوك جاء يبحث عنك.

فاضطرب شوان كثيراً... ولم يسعفه الارتباك بقول اكثر من:-

شوان: صحيح؟

وحين جاء القسم المؤكد:

محمد: أي والله))[1]

خلال هذا الحوار كشف لنا القاص عن سبب إصابة رجل "شوان"بالإعاقة التي سببت له "الحرمان" من اللعب، لأنه تأخر في العودة أولاً، حيث ما كان ينبغي له أن يتاخر كل ذلك الوقت. ثانياً لأن أخاه جاء للبحث عنه.

لقد رسم القاص شخصية "الأخ" بالحزم والصرامة، وحدة، وعصيبة، لأنه كان يضرب أخاه "شوان" ويحاسبه ويعاقبه كلما خالف له أمراً، أو لم ينفذ ما يريده، في مثل حالته هذه. وبذلكً يوضح سلطة "الأخ" الاكبر الذي يجعله الأهل والعائلة مسيطراً على من هم أصغر منه في العمر من أخ أو أخت له في البيت، وهذا يظهرفكرة تفضيل الأخ الكبير على باقي الاخوة والاخوات ولاسيما في الثقافة الشرقية والذكورية، حيث يعطيه الأبوان السلطة في محاسبة من يريد وضربهم وحتى سلب حقوقهم بحجة أنه الأكبر بينهم. ولكن في المقابل هو يفعل ما يريد وما يشاء دون أن يحاسب، والقاص هنا ينتقد بصورة غير مباشرة تلك العادات والتقاليد القديمة في المجتمع وفي العائلة،لأن العائلة تعطي الحرية الفردية الكاملة لكل واحد فيها، ولاسيما للأطفال لكي يعيشوا فرصتهم وطفولتهم التي يجب أن تكون مليئة بالفرح، واللعب، والسعادة، والنشاط الا أنها أعطت للكبير محاسبة الصغير، لأن "الحرية" لا تعني عدم إحترام من هم أكبر منا سناً بل حريتنا وحقوقنا هي ملك لنا وحدنا ومع المحافظة عليها يجب احترام الأخرين.

(1) قصة" حرمان "من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 21.

ثم رسم القاص شخصية "شوان" من خلال نفسيته المتأزمة وما يعانيه من عقدة نفسية، أوما سبب له عقدة نفسية. وهي رغبة الاستمتاع في رؤية الآخرين يتعذبون ويعانون مثله. مثلاً بعد خروجه من المستشفى ومكوثه فيه لمدة ثلاثة اسابيع كانت أمه تحدثه عن ما أصابه جراء السقطة واثناء ذلك حطت ذبابة على خد "شوان" وعندما شعرت الذبابة بالهدوء والسكون على خده قبض عليها شوان بقبضته بقوة وأمسكها حتى لا تهرب منه بحيث صارت الذبابة سجينة داخل قبضته مثلما كانت رجله مسجونة داخل اللفائف والجبس كجدران حول رجله شلتها من الحركة والنهوض أي انعكس حالته النفسية على الذبابة. ثم أمسك بالذبابة من رجلها وهي تحاول أن تنقذ نفسها إلا أن "شوان" لم يسمح لها بأن تنجو وخلع إحد أجنحتها، بعد ذلك اطلق وهي عاجزة عن الطيران أي جعلها مصابة ومحرومة كما هو حاله وقال في حواره:-

((ابتسم لها مشفقا عليها:

شوان: عرجاء... مثلي..)).[1]

أي أن الأثنين متساويان ويعرجان ومشلولين غير قادرين على اللعب والحركة، لأن :

{ شوان = الذبابة }

{ شوان = الذبابة في : الجدران /السكون/عدم الحركة/ عرجاء}

أي خلق "شوان"حالة مشابهة ومتساوية لنفسه من الذبابة، وذلك إنعكاساً لما كان يشعربه. لأن "الذبابة" في حركتها ونشاطها وحيويتها تمثل حالة شوان قبل الاصابة وبعد ذلك تمثل حالة السكون، وشلّ الحركة جراء خلع إحدى اجنحتها ويستمر القاص حتى النهايه يرسم الحالة النفسية لـ"شوان" وحرمانه من اللعب.

وفي مشهد آخر عندما كان "شوان" جالساً أمام بيته حط عصفور على مسافة قريبة منه وأراد الحصول على العصفور، فأنقض عليه مثلما فعل مع "الذبابة". إلا

(1) قصة"حرمان "من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"،22.

أن واحداً من أصدقائه اسمه"سرمد" وهو شخصية وصفها الكاتب بالبدانة، والبلادة، ولايشارك أصدقاءه في اللعب، لقد رسم القاص هذه الشخصية من خلال إعطائه صفة البدين وهو يساوي عدم القدرة على الحركة بصورة سريعة مثل باقي الأطفال، لأن الوزن الزائد عائق بالنسبة له، وهو يعاني أيضاً بطريقة أخرى مثل "شوان" من الحرمان في اللعب.

وهذه البدانة شكل له عقدة نفسية، وهذه الصفة تعرضه دائماً لموقف السخرية والاستهزاء من قبل الأطفال الآخرين، ولا يَدْعُونه للمشاركة معهم في اللعب ويذكرونه دائماً بأنه بدين حتى قرر أن لا يشارك معهم اللعبة. وهو يريد مثل "شوان" أن يصطاد العصفور لكي يجعله حبيساً داخل القفص ويمنعه من الحرية والطيران، مثلما هو غير قادر على الإستمتاع، لأنه حبيس في داخل نفسه وأنهما، أي هوو"شوان" يتنافسان معاً للحصول على العصفور إلا أن الفرق بينهما هو أن "سرمد"خبير في أمر صيد العصافير واخراجهم من اعشاشهم، لأن ذلك العمل يعطيه اللذة التي تكمل له تلك الشعور بالنقص. أما إختلاف "شوان" عنه فإنه ليس بخبير، ولكنه أصبح يعاني جراء ما وقع له منذ وقت، وحيث لم يكن كذلك في السابق. إلا أن الحالة النفسية والشعور بالعجز أصبحت معالم أساسية من شخصيته لذلك فهو يشبه "سرمد" في الأمر، وهذا يظهر في الحوار الذي جرى بينهما:-

((شوان: سرمد.. هذا العصفور لي

ورد عليه الآخر مستهزئاً متسهيناً به:

سرمد: لك؟ ها ها ها.. تعال خذه إن كنت تقدر))[1]

هذا الحوار ذكره مرة أخرى بعجزه وعدم قدرته على الحركة، وهو الذي كان يتمتع بصحة جيدة إلا أنه أصبح عاجزاً وغير قادر حتى على النهوض وأخذ ماهوله. هذا الأمر جعل منه ضعيفاً في نظر أصدقائه حتى أضعفهم مقدرةً يستطيع السخرية منه والاستهزاء به.

(1) قصة"حرمان "من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"،23.

يتضح من خلال الحوار الذي جرى بين الشخصيات أن الكاتب قد استطاع رسم الشخصية الرئيسة في القصّة بصورة دقيقة من خلال علاقاته مع باقي الأصدقاء واسترجاع ماحدث له في الماضي أثناء اللعب، ثم الانتقال إلى الوقت الحاضر وإصابته وكيف أصيب بالحادثة وأصبح هذا الأمر عائقاً أمامه فمنعه من التحرك وجعله في حالة السكون وعدم القدرة على التحرك وهذا الأمر اللذين شكلا له عقدة نفسية لأنه يحس بـ"الحرمان".

أي أن الحوار ساعد على معرفة الشخصية أولاً ثم معرفة حالتها النفسية وماتعانيه، ثم كشف بعد ذلك علاقاتها مع أصدقائها، وتعاملها مع محيطها، وصراعها الداخلي، وشعورها بالعجز.

ب: قصة:"الضيوف":-

من القصص الأخرى التي نجد فيها رسماً دقيقاً للشخصيات من خلال بعدها النفسي عن طريق الافعال الموجودة في القصة ثم دور الحوار في بيان تلك الافعال وتوضيحها وكشفها في قصة "الضيوف". حيث رسم الكاتب لنا شخصية الزوج والزوجة وخلافاتهما الفكرية ومشاكلهما، وكذلك يشرح للقاريء العقدة النفسية التي تعاني منها الزوجة، ويلقي الضوء على جانب اللاتكافؤ وعدم الانسجام بين الزوجين وهذا مثال واحد من أمثلة كثيرة موجودة في واقع المجتمع الذي يعاني من هذه المشاكل. و ربما تكون المشكلة عائدة إلى عدم التكافؤ في مستوى الثقافة بينهما، أو أنهما ينتميان إلى طبقات إجتماعية مختلفة وغيرها من الجوانب التي تظهر حالة عدم الانسجام عندهما.

ويظهر الاختلاف بينهما في حوارهما حيث شخصية الزوج "فريدون" شخصية مثقفة، وهو يحب قراءة الكتب والقصص، و هو منشغل معظم أوقاته بالقراءة التي هي أهم شيء عنده. أما الزوجة "نسرين قادر" فهي مثل أغلب الزوجات اللواتي يقضي معظم اوقاته في أعمال منزلية، والمكان الأكثر الذي تتواجد فيه هو المطبخ لأنها تهتم بأمور الطبخ والغسيل، وكانت غاضبة وتشعر بإهمال

زوجها لها مع أنها عادت إلى البيت منذ بضع ساعات، لأنها كانت مسافرة، وهذا الحوار يرسم للقاريء مدى اهمال الزوج لها وانشغاله بالقراءة مما جعلها تنفعل وتضطرب وتقول:-

((نسرين قادر: أما ان لك أن تكف عن القراءة؟

فريدون: هه؟

تساءلت، من غير ان استرد عيوني من بين سطور القصّة اتى استحوذت على اهتمامي.

نسرين قادر: ضع الكأس جانباً على الأقل إذا كنت تريد أن تصغي إليَّ))[1]

كانت "نسرين"في أشد حالات الغضب، لأنها تشعر بإهمال شديد ولامبالاة من قبل زوجها، لأن الزوج كان منشغلاً ومستمتعاً بقراءة القصّة بصورة عميقة، لذلك لم يحركه سؤال "نسرين" أو لم يجد لإنفعال زوجته سبباً مهماً لكي ينقطع عن القراءة من أجلها، أو أن يصغي إليها، لقد أظهر هذا الحوار جانب عدم الاتفاق بينهما وأن كل واحد منهما في مكان بعيد عن الآخر.

في هذا الحوار قدم لنا القاص صفة من صفات "نسرين"حين وصفها زوجها إنها سيدة منفعلة في أغلب الأوقات، وليس لديها صبر وتأنٍ في ردود أفعالها. وهذا الإحساس من الزوج تجاهها جعلها تحس نفسها دائماً في مقارنة مستمرة بينها وبين نماذج الشخصيات الموجودة في القصص التي يقرأها الزوج عندما قالت في حوارها:-

((نسرين قادر: دائماً... لا ترى في أو في سلوكي، الانماذج مما تقرأ أو تكتب))[2]

(1) قصة" الضيوف" من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"،95.
(2) قصة" الضيوف "من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 96.

ثم يستمر الحوار بين"الزوج "و"الزوجة"وهما ينتظران ضيوفاً، ولكن الزوج غير مستعد لاستقبال الضيوف في البيت، وخصوصاً إذا كانوا يأتون بلا موعد مسبق. وأن الزوجة عادت من السفر لتوها أيضاً. و يظهر ذلك في حوارهما:-

((فريدون: و... ولكن... هل ننتظر أحداً.. أعني.... أعني... هل دعوت أحداً فجاءني جوابها سريعاً، جاهزاً:

نسرين: وهل يدعو الانسان القادم لتوه من سفر طويل الناس لزيارته؟ أم يأتون إليه من تلقاء أنفسهم.

فريدون: ولكنك لم تصلي إلا قبل ساعة أو ساعتين.... ولا أظن أن أحداً قد رآك... أو...

قاطعني بحدة:

نسرين: بل رآني كل الجيران..)).[1]

هنا رسم القاص إستياء "الزوج" من وجود الضيوف بصورة غير متوقعة، لأن وجود الضيوف يعني انقطاعه عن القراءة، ولاسيما قراءة القصّة التي بدأ بها وأخذت كل اهتمامه ولم يرد أن يبعده عنها أي شيء، ورسم الزوجة على عكسها أنها تريد قدوم الضيوف بشدة،لأنها تريد التحدث معهم لشرح أحوالها،كذلك طلبت من "الزوج" الذهاب إلى السوق ليشتري ما يقدم للضيوف، لأن البيت فارغ من الأكل، وهذا ضد رغبة زوجها، لأنه يريد البقاء في المنزل وذلك في حوارهما:-

((نسرين: ياحبيبي، البيت فارغ، ولابد أن نقدم شيئاً للضيوف القادمين... فواكه على الأقل...

وتراجعت بخوف...

فريدون: هل تعنين انه عليّ ان اذهب إلى... إلى السوق...؟

نسرين: أجل إلى... إلى السوق.... ها أنت أنت قد عرفت!!

فريدون: آه....))[1]

(1) م. ن، 96.

في هذا الحوار رسم الكاتب طبيعة "الزوج" الذي يكره الذهاب إلى السوق ويحمل سلة مطاطية ويقف أمام البائعين ويساوم على سعر الفاكهة ونوعها مع البائع، لأنه لايعد نفسه منسجماً مع هذه الوظيفة التي أعطيت له، بل إنه شخص مفكر ومثقف يحب قراءة الكتب والاستمتاع بها، أي يحب ذلك الشيء أكثر من كونه زوجاً يذهب إلى السوق لشراء الحاجيات.

مع عدم الرغبة في الذهاب إلاّ أنه يفكر في قول زوجته أنه لايعرف أن يشتري الأشياء الجيدة ولايتفحص جيداً مايشتريه، وهذا ما كانت تقوله في الأيام الأولى من مدة الزواج بشكل ملاطفة أومثل نكتةٍ يضحكان عليها معاً، ولكن بعد كثرة تكرارهذه النكتة مع الأيام بنبرة أخرى فيها السخرية والانتقاد ودلالة على عدم المعرفة والخبرة في شراء الحاجات صارت النكتة مملة ومزعجة.

هنا يوضح القاص ظاهرة أخرى بين الأزواج وتنتقدها، ولاسيما في مجتمعنا، لأن المرأة والرجل عندما يريدان أن يؤسسا المؤسسة والشراكة الزوجية لايفكران في موضوع الطبائع بصورة جدية، مثلاً وإلى أي مدى يتفقان أو يختلفان في ثقافتهما وأفكارهما، وفي أي بيئة عاشا، وفي أية عائلة تربيا، وإلى أية طبقةٍ ينتميان من ناحية الغنى والفقر، لذلك بعد أن يقضيا الأيام الأولى لهما في بداية زواجهما في الفرح والسعادة أكثر من باقي الأيام يصلا إلى مرحلة كشف طبائع بعضهما بعضاً، وبذلك تختفي تلك السعادة وتبدأ الحياة الواقعية بصورتها الصعبة المليئة بالعوائق والمسؤوليات، ثم يكتشفان أنهما شخصان مختلفان في النواحي كلها. من هنا تبدأ المشاكل والهموم، وكثرة الاختلافات تسلب طعم الحياة منهما ولاتدعهما يستمتعا بحياتهما. وهذا ما يدل عليه قول "فريدون" في حواره الداخلي:-

((عبارة زوجتى الخالدة، التي لاتتغير، وهي تفحص المشتريات "أنت لاتعرف تشتري" وإذا كانت تقولها في الأيام الأولى لزواجنا... خلال الابتسامات، وبعض المداعبات مما يجعلها تبدو كنكته لطيفة... نضحك لها طويلاً... فإنما غدت

(1) ن، 97.

تقولها، بعد تبدل مناخ الأيام الأولى من الزواج، بكثير من التأنيب والاستياء... فتبدو مسماراً حقيقياً، حاداً... تغرزه في أعصابي بقسوة..)).[1]

ثم ينتقد القاص في حوار "فريدون" مع نفسه الضيوف وقلة ذوقهم بشأن العادات القديمة التي لاتنم عن المعرفة والذوق السليم، لأن شخصية "فريدون" تظهر كشخصية مثقفة، وهوعلى معرفة بأصول وآداب الزيارة إلى أماكن أخرى، وإنه يرى من حسن الخلق والذوق أن يستأذن أهل البيت الذي يريد الإنسان زيارتهم قبل أن يقرر فجأة وبدون موعد مسبق زيارة المكان عندما يقول:-

((لا... لايمكنني أن أتصور بأن ثمة أناساً تبلغ بهم قلة الذوق إلى هذا الحد... حد إزعاج إمرأة.. لم تنفض عن نفسها بعد اتعاب الطريق، وبلا أية دعوة)).[2]

بعد ذلك يسترجع البطل لحظة سفر "نسرين" في مرآب السيارات المتوجهة إلى السليمانية حين ودع "فريدون" "نسرين" لزيارة بيت أهلها، فرسم القاص شخصية الزوجة بصورة ملائمة مع موقف الوداع وإحساسها بالحزن لمفارقة زوجها وبقائه وحيداً لمدة عشرين يوماً، لذلك لم تتحمل البقاء في بيت أهلها فعادت قبل الموعد بعشرة أيام. لقد صور القاص مدى حزنها وألمها لأنها ذهبت إلى بيت أهلها وحيدة بدون زوجها، لذلك تعرضت لكلام الناس وألسنتهم بسبب ذلك،، ويظهرهذا في الحوار الآتي:-

((فريدون: آمن الضروري أن نتخاصم.... ساعة وصولك..

نسرين: وماذا أفعل وقد تركتني طيلة هذه المدة، تنهشني... الوحدة، وتلسعني ألسنة الناس، هذا يسأل بشك لماذا لم يأت معك؟ وذلك يستغرب، ماذا يفعل وحده؟ وحتى.. أمي.. قالت لوكان لديك طفل واحد لما تركك وحدك...

فريدون: أمك؟

واضفت بإستياء:

(1) قصة" الضيوف من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 97-98.
(2) م. ن، 99.

فريدون: إذن فهي التي شحنتك بهذه الروح العدوانية)).[1]

رسم الكاتب لنا حالة "نسرين" النفسية عندما شعرت بالوحدة، ثم كشف أمراً آخر في نهاية الحوار عندما قالت أن أمها قالت لها لوكان لديها "طفل" أي- أن عدم وجود الأولاد- هو سبب تركها وحيدةً لتأتي إلى السليمانية. هنا ظهرت معلومةً جديدة، وسؤال أخر حول الموضوع ،وهو لماذا ليس لديهما أولاد؟ ماهو السبب وراء عدم الإنجاب؟ وهل إن عدم ذهاب "فريدون" معها إلى السليمانية هو بسبب عدم الإنجاب؟ وغيرها من الأسئلة، بعد ذلك يتصاعد الشك والمخاوف والقلق لدى "نسرين" التي تقول في نفسها ربما يكون كلام أمي صحيحاً وشكها في محلها، لذلك دار بينهما حوار آخر:-

((نسرين: صحيح يافريدون... أنك... لم تعد... ت... ت... تحبني...

فريدون: ما هذه الخرافة.... يانسرين....

نسرين: ربما.... ربما... بسبب الاطفال...

فريدون: ياللحماقة.. لم تكوني أبداً امرأة حمقاء.. فماذا جرى لك.. وارتمت في أحضاني... وراحت تجهش في البكاء...

نسرين: أنها.. أمي.... أمي قالت إن لم ترجعي اليه..... سيتزوج امرأة... تنجب له أطفالاً... وقالت... قال... وسكتت....

فريدون: وما الذي قالت أيضاً....

نسرين: قالت... ماالذي يربطه... بامرأة... ع... ع.... عقيم.)).[2]

وبعدما أثارت "أم نسرين" شكوكها حول زوج ابنتها وعدم القدوم معها جعل من الشك يزداد في نفسها مما جعلها تعتقد وتسأل زوجها هل مازال يحبها؟ ويريدها؟ وليس السبب وراء إهماله وعدم ذهابه هو مسألة الأطفال، لذلك ذكرت "نسرين" كل

(1) قصة" الضيوف " من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"،102.
(2) م. ن، 102.

الحديث الذي دار بينها وبين والدتها بسبب الاطفال، ومنها قولها إن زوجك سيتزوج من امرأة أخرى إن لم تذهب إلى بيتها.

إلا أن القاص كشف لنا السبب وراء شعور "نسرين" بالقلق، والحيرة، والخوف من زوال حب زوجها وتركها من أجل امرأة آخرى، والسبب هو أنها امرأة "عقيم" لاتستطيع إنجاب الأطفال له، وبهذا كشف لنا القاص المصدر الأساس وراء حقيقة خوف"نسرين"وقلقها، وهو عدم قدرتها على إنجاب الأطفال، وخوفها من ترك زوجها لها، لأن هذه الظاهرة شائعة في مجتمعنا حتى لو لم تكن المرأة تعاني من حالة العقم أو من مرض ما إلا أن الرجل يكون ظالماً بحقها عندما يتركها ويذهب إلى امرأة أخرى ويتزوجها لإشباع رغباته، وذلك حين يستخدم الدين الاسلامي كغطاء، فيقولون: إن الدين حللّ الزواج من أربع. ولكن لم تأت أسباب الزواج في الدين إعتطباطاً أو لمجرد التسلية وإشباع الرغبة وغيرها من الأمور الدنيوية، بل حلّل الدين هذا الأمروشرعه عندما تعاني الزوجة من مرض ما، أوعند عدم إنجاب الزوجة في حالة مؤكدة، وظروف آخرى خاصة بالزوجين مما يجعل الزوج يتزوج بامرأة أخرى. إن الحالة التي تعاني منها "نسرين"هي من إحدى الحالات التي يستطيع الرجل تركها، لأنها عقيم، ولكن مهما كانت صعوبة الإعتراف بألامر ومعرفة الحقيقة في داخلها وضعفها في هذه الحالة إلا أنها تأمل من زوجها أن لايتركها ويبقى معها على العهد الذي جمعهما.

وفي مقاطع أخرى من حوار "نسرين" مع زوجها "فريدون" بعدما عاد من السوق واشترى ماطلبت زوجته منه للضيوف إلا إننا نجد أن "نسرين" كانت متلهفة لمجيء الضيوف، لكن في الواقع لم يكن هناك ضيوف أبداً. بل جاءت "الحاجة نركز"، و" الجارة كلناز" و"الست سوزان" كل واحدة منهن إلى بيت "نسرين" لسبب مختلف فـ"الحاجة نركز" جاءت لتطلب الثلج، و"كلناز" جاءت تأخذ رأيها بشأن ما أشترته من اقمشة حتى أنهن لم يتنبهن إلى أن "نسرين" كانت مسافرة وعادت لتوها من السفر حتى إنهن لم يدخلن البيت حتى تقدم لهن واجبات الضيافة ويتوضح من

ذلك أن "نسرين"لم تجد الاهمال فقط عند زوجها بل وجدت الاهمال حتى عند ضيوفها أيضاً.

إن رسم كلتا الشخصيتين كان جيداً في توضيح علاقتهما مع بعضهما حيث وضح العقدة النفسية لدى "نسرين" التي تعاني من الخوف والقلق من فقدان زوجها وانهيار زواجها، والحوار هو الذي ساعد على الكشف عن طبائهما المختلفة ومزاجهما المختلف، فالزوج هو أكثر صبراً، وهدوءاً، ومتزناً في تعامله مع الأمر، إلا أن الزوجة إنفعالية مندفعة قلقة شكاكة غير مستقرة، فالحوار هو الذي يبين ((الشخصية طبيعةً، وبيئةً، وطبقةً، ومهنةً، وسلوكاً، وربما شكلاً أحياناً، أي أنه بعبارة أخرى يسهم في رسم الشخصية الفنية))[1]

2. رسم الشخصيات من خلال البعد الفكري والايديولوجي :-

إن اغلب القصص القصيرة لكاتبنا "محيي الدين زنكنة"تتضمن معاني آيديولوجية معينة، ولاسيما الأيديولوجية السياسية، ويظهر ذلك في المعاني والمفاهيم والقيم التي نادى بها الكاتب من أجل تحقيق هدف واحد يتمحور حوله أغلب قصصه وهو "الثورة"، أي الوقوف ضد كل مباديء الشر، والقمع، والفساد، والظلم، واستلاب الحقوق لأنه يريد الانتصار للحرية، والعدل، والمساواة، والخير في الحياة، لكون الكاتب كان من مناصري الثورة في آرائه وأفكاره، وضد كل من يستسلم ويضعف ويتخلى عن مبادئه في ظل أي ظروف من الظروف من إغراءات السلطة والنظام عن طريق المال أو المناصب أو التخلي عن الشعب والوقوف ضدّهم. إلا أننا نجد أنه لايرضى أبداً بالمصير الثاني، وليس هذا الموقف عنده مبرراً، ولاحل له إما الانتصار، والتحدي وإما الموت، لأن الموت عنده أشرف، وأحق بالإنسان بدلاً من بيع النفس والضمير، ومن هذه القصص القصيرة التي تحمل هذا المضمون قصة

(1) مشكلة الحوار في الرواية العربية، نجم عبدالله كاظم، 77.

(*) ملاحظة: في قصة "الضيوف" هناك تناص موضوعي مع قصة"منتهى السعادة"لـ"كاثرين مانسفيلد"و بحث فيه الناقد صباح الأنباري بعنوان" التناص الفني المقصود". ينظر: المخيلة الخلاقة في تجربة محيي الدين زنكنة الأبداعية،87-94.

"الجراد"، "سبب للموت... سبب للحياة" ، " الفكاهة "، "الكلب العجور مغمض العينين"، "اللات والعزى"، "حيث الناس يعيشون كالهواء"، "الجبل والثعبان" وغيرها من القصص التي تحمل المعاني نفسها في جوهرها.

إن الحوار باعتباره أداة للكشف عن تطوير العقدة ورسم الشخصيات لتلك القصص إلا أن الحوار يؤدي أيضاً هذه الوظيفة في إيضاح مضامين ومعاني ودلالات تلك المفردات، لكي نستنتج ونستخرج منه تلك الأيديولوجية التي ينادي بها الكاتب ويؤمن بها داخل قصصه. ولاسيما تلك الآيديولوجيا المتعلقة بقضية الوطن وتحريره، والقضية القومية التي طالما عانى الشعب الكثير من الظلم والإستبداد من قبل النظام الحاكم ومن عمليات قتل الشباب وتعذيبهم، ولا سيما هؤلاء الشباب من المثقفين والطلاب الجامعيين والنساء والشيوخ وكل من كان له علاقة بتلك التنظيمات أو لم تكن لهم علاقة كانوا يخدمون وطنهم وقوميتهم في التنظيمات السرية، لأن الشباب هم وقود الثورة وقوّتها وقلبها إن هؤلاء يعانون ويعذبون لمجرد أنهم شعب اسمهم "الكرد" ولهم وطن مشتت ومُقسم اسمه"كردستان"، لذلك استخدم ضدهم سياسات أخرى مثل سياسة التعريب والتهجير -أي الاتيان بعائلات من أصول عربية ومن المناصرين للنظام والسلطة الطاغية واعطائهم أراضي زراعية وأراضي للسكن في مناطق "كردية"- وذلك من أجل إذابة القومية الكردية بشتى الطرق وممارسة أبشع الخطط الدنيئة والوحشية بحقهم.

أ: قصة: "سبب للموت..سبب للحياة":-

تدور احداث قصة "سبب للموت سبب للحياة" حول بطل يغيير موقفه من انسان كان لايهمه أي شيء في الحياة إلى إنسان مهتم بالوطن والدفاع عن الحياة عن طريق كتمانه لما يعرفه من معلومات حول أصدقائه المناضلين، حيث صور القاص على لسان البطل ما واجهه من تعذيب نفسي وجسدي داخل السجن على يد الجلادين. ومحاولاتهم اجباره على الإعتراف لهم بما يعرفه من معلومات تفيدهم كي يلقوا

القبض على تلك الجماعة ومن ثم قتلهم. وفي هذا الحوار الداخلي يقدم لنا القاص ماعاناه البطل من تعذيب وكيفية ضربه من قبل الجلادين فيقول:-

((في البداية نجحت في تجنب ضربة أو ضربتين، بأن أتكور على نفسي وأتراجع إلى الخلف. ولكني في النهاية وجدت نفسي في زاوية الغرفة ذات الثلاثة جدران.

يحيط به جداران صلدان تتفتت عليهما كل محاولة أبذلها للتراجع كما أنه بدا يوزع ضرباته، على راسي على وجهي، على ظهري، على بطني بقوة أشد))[1]

وفي حوار بين الجلادين الذين يقومان بضرب البطل، نتعرف عليهما عن طريق الوصف الذي اعطاه عنهما الكاتب ، الأول"صاحب البدلة الصفراء"، والثاني"صاحب البدلة الزرقاء" وقالا له:-

((صاحب البدلة الزرقاء: تكلم

قلت له:

البطل: لا أعلم شيئاً.

عاود الضرب على رأسي بضراوة اشد. قال له الاخر الذي وصل لتوه في بدلة صفراء. بلون السل:

صاحب البدلة الصفراء: خذ المطرقة هشم جمجمته))[2]

يظهر في الحوار الدائرين بين الجلادين مدى القسوة، والعنف، واللاإنسانية التي يتبعانها من أجل تحقيق هدفهما وهوأخذ "الإعتراف" من البطل إلى أن وصلت بهم الوحشية إلى تهشيم العظام بالمطرقة الذي بات أمراً هنياً ومسلياً بالنسبة لهما، وصف الكاتب بدلة أحدهما بأنها "صفراء" دلالةً على أن نفسياتهم كانت مريضة، وضعيفة، وفيها الكثير من الكره والشر مثلما يوحي وجههما، لأنهماكانا خائفين من الذي وقع ضحية بين أيديهما وخائفين من هؤلاء الذين يمارسون السلطة والظلم

(1) قصة" سبب للموت سبب للحياة " من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 27.
(2) م. ن، 27.

عليهما. لأنهما وإن كانا يحكمان ويضربان ويقسوان، إلا أن قوتهما في يدهما وليست في عقولهما ووجدانهما، مثل هؤلاء الضحايا الذين كلهم أمل، وتفاؤل، وحلم بمستقبل جميل، مهما حاولوا منعهم وردهم عما يؤمنون به. حيث قال البطل في حواره الداخلي للجلادين:-

((إن تهشيم جمجمتي... لايجديه لايجديك. لايجديكم... بل ربما كان في ذلك ضرر بليغ عليكم وعلى مصيركم إذ إن الافكار التي تخافونها... والتي تسكن جمجمتي... تنتشر آنذاك في الفضاء. في تلافيف الهواء.... وتتلقفها جماجم آخرى عديدة.... يستحيل القضاء عليها... فالأفكار... وهذا أمر معروف إذ تتغلغل بين الجماهير تغدو قوة مادية))[1]

يقول البطل: إن لديه أمل أنهم حتى لو كسروا جمجمته وهشموها إلا أنهما لايستطيعان الدخول في عقله وسرقة الأفكار منه أو محو مايؤمن به، بل إن الفكر أكبر من أن توضع له حدوداً وبقتل البطل لن يستفيد الجلادون شيئاً، لأن الفكر الذي يؤمن به يتحول من الفردية إلى فكرة ومبدأ جماعي/ كلي، أي أن الدائرة الوحيدة التي ظنوا أنهم سيطروا عليها تتحول في المستقبل إلى دوائر وجماجم أخرى وعقول أخرى كثيرة لايمكن السيطرة عليها ويصبح النداء من أجل "الثورة" جماعياً. وفي مقطع أخر يصف القاص حالة المعذبين والجلادين من أعوان السلطة وما فعلوه طيلة أيام الحكم أو بالأحرى ماذا كانت وسائلهم للسيطرة على الشعب؟ أي كيف كانوا يحكمون الشعب ؟ حيث يقول:-

((ياسادتي قد ذبحتم مافيه الكفاية، لقد ملأتم كل القدور والاواني والبراميل والاحواض بالدماء. فأين ستذهبون بدمي الذي سيظل يسيل ويسيل حتى تطفح كل الاواني التي تلقيتموها هبات وهدايا... فإن أيا منهما لم يعد يحتاج إلى اكثر من قطرة

(1) قصة" سبب للموت سبب للحياة " من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"،27.

قطرة واحدة، ليسيل. وإذ ذلك.. سيحدث... الطوفان.. الذي سيجرفكم أو يخنقكم في عقر دوركم))[1]

لقد أنذر القاص في هذا الحوار السلطة الطاغية ونظام الحكم فقال أن ما تستخدمونه من أساليب بشعة وغير شرعية تجاه الشعب من قتل أبناء الشعب وتعذيبهم في داخل جدران سجونهم المظلمة واستخدام وسائل وحشية في التعذيب وسفك دماء الأبرياء سوف جعل من الشعب ثائراً فينهض ولايقبل المزيد من الذل والإهانة والظلم، وسوف يثورون فلا يمكن أن يستمر الظلم والطغيان، لأن الثورة آتية، والانتصار محقق والحرية أقرب مما يمكن تصوره.

استمر الجلادون في تعذيبه وسؤاله عما يخفي من المعلومات ويطلبون منه أن يكشف لهم مكان صديقه المناضل، إلا أنه بالرغم من كل ماعاناه لم يستسلم لهم وظل صامداً وقوياً حتى النهاية لكي يموت بشرف وعزة نفس وكرامة، فهو يحس أنه يموت من أجل شيء حقيقي يستحق الموت من أجله. لأنه كان خائفاً أن يموت في السابق من أجل لاشيء حيث قال في حواره:-

((أما هذه القطرات التي يمتصونها منى بين فترة وأخرى فإني أخشى عليها ان تضيع.. و أن ينفد دمي كله بهذه الطريقة دون أن يقدم خدمة... لأي شيء))[2]

لقد استمر القاص عن طريق الحوار بين الجلادين يوضح ما يفكر به الجلادان حول البطل، حيث شكا أن البطل يعرف مكان "القائد" وأنه خبأه في منزله، لأن "القائد" كان صديقاً للبطل وهو التقاه بعد عشرين عاماً مر على صداقتهما، وذكر ذلك عن طريق استرجاع الحوار الذي دار بين القائد والبطل في الماضي:-

((القائد: الوحوش يقتفون أثري. هل أستطيع قضاء الليلة عندك؟

البطل: بكل سرور، نستعيد ذكريات عشرين عاما خلت.

القائد: هل أنت في أمان؟

(1) م. ن، 28.

(1) قصة" سبب للموت سبب للحياة " من مجموعة "كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 29.

البطل: أمان.. أمان... منتهي الأمان. فلا أحد يفكر بكاتب جنس...))[1]

يتضح أن "القائد" كان من المناضلين السياسين، وكان أزلام النظام يتبعون أثره لكي يلقوا القبض عليه، وعندما التقى صديقه طلب منه الاختباء في منزله، وسأله عما إذا كان مكانه أميناً، فأجابه البطل لا أحد يعرف الطريق إلى البيت أو يشك به، لأنه كان في السابق شخصاً غير مهتم بالأمور السياسية، وليس له أي اهتمام بقضايا قومه، بل كان مشغولاً بالكتابة عن موضوع الجنس الذي صار يشعره بالقرف والضجر، ولم يكن يشك به أحد، إلا أن البطل ما كان يعرف أن صديقه الذي كان في منزله تلك الليلة "قائد" للثوار، لذلك كان متأسفاً على سذاجته وعدم معرفته الحقيقة، لذلك قال في نفسه:-

((اه.... اه.. لن أغفرلك يا صديقي العزيز... أنك لم تقل لي أنك قائدهم قائد، أولئك الذين قررت أن امنحهم نور عيني وثورة حرفي وأن اهبهم حياتي التي سيجهز عليها القتلة.. بعد قليل.. ولكني سعيد.. سعيد... سعيد.. ياقائدهم... يا قائدنا..)).[2]

قال البطل (يا قائدنا)، لأنه اشترك في الثورة، وأصبح واحداً منهم، واحداً من الثوار والمناضلين من أجل الحرية والخلاص من القيود والظلم، لذلك أصبح صديقه القائد قائداً له أيضاً. وكان يشعر بالسعادة والفرح لما حصل من تغيرات وأصبح يقدم حياته، وروحه ثمناً من أجل الحرية. على الرغم من معرفته أن النهاية ستكون على أيديهم، كان يشعر بالطمأنينة لما يقدمه من تضحية، التضحية التي لا يذهب ثمنه وما عاناه على يد هؤلاء الجلادين المجرمين بلا قلب وبلا رحمة من عذاب جسدي ونفسي هباءً، بل يكون دمه ودم الكثيرين من هؤلاء الثوار شرارة قوية ورغبة متأججة في نفوس الكثيرين، لكي يحققوا الثورة ويتحرروا من كل القيود، التي أسرتهم وحرمتهم من حقوقهم وطمس هوياتهم واستلاب أرضهم. كما أنه كان مبتسماً

(1) م. ن، 30.
(2) ن،30.

حتى في لحظة قتله على ايدي هؤلاء المجرمين، لأنه كان متأكداً في قرارة نفسه أنه مات من أجل شيء ثمين في الحياة.

ب: قصة: " الفكاهة":-

النموذج الثاني هو قصة "الفكاهة" التي نجد فيها الرؤية الآيديولوجية السياسية، وهي إخضاع الشعب لحكم السلطان وأوامره، وجبنهم واستسلامهم لكل ما يؤمرون به من قبل "السلطان" وخدامه، إن ذلك يوضح مدى قوته وسلطته وطغيانه في إجبار الشعب عل القبول بكل ما يصدره من فرمان.

لقد أصدر السلطان فرماناً فرض بموجبه على كل رجال المملكة حلق شعور رؤوسهم بلا استثناء. وهذا الأمر يعود إلى جبروته وأنانيته وشعوره بالنقص وضعفه النفسي وما يعاني من حب تجاه ابنة القاضي الولاية، التي كانت اسمها "جميلة" لأنه كان يحبها كثيراً، إلا أن "جميلة" بعكس السلطان لا تحبه، بل كانت تحب شخصاً آخر اسمه "سعيد"، وهو لايعيش في الولاية، بل كان يعيش في كهف بعيد خارج الولاية، لأنه شخص مفكر ومتأمل ، ولايقبل الأوامر من أحد، وهو يدرك مدى قسوة السلطان وحكمه في الولاية على الشعب. ولا أحد من أفراد الشعب يدرك كيف يعيشون تحت رحمة شخصية ظالمة وطاغية كالذي سلب منهم كل حقوقهم، وتمتعهم بحياتهم كيفما يشاؤون ويريدون، وهم خاضعين كلياً لرغبة وسلطة السلطان.

لكن "سعيد"يرى الحياة بشكل مغاير، فهويرى أن الحياة تكون أجمل عندما يكون فيها الحرية والعدالة الاجتماعية، ولهذا السبب وأسباب أخرى أبعد نفسه عن المدينة وعاش منزوياً ووحيداً في الكهف. وهذا هو سبب رفض "جميلة" للسطان، والسبب الأهم في رفضها له هو أنها رأت رأس السلطان أقرع حين كانت تصب الماء على يد "السلطان" عندما كان يتوضأ لصلاة العصر، وفي هذه الأثناء نزع عمامته ورأت رأساً بشعاً يستحق السخرية والضحك لما فيه من حفر وثقوب بلون أزرق، فضحكت"جميلة" ولشدة ضحكتها سقط من يدها الإبريق. فغضب السلطان كثيراً وهاج وأراد -لما تعرض له من سخرية "جميلة"- أن ينتقم من سائر الرجال

وشباب الولاية عن طريق إصدار الفرمان بحلق الرجال شعر رؤوسهم كلها، سواء كان الشعر طويلاً أم قصيراً.[1]

وهذا دليل على أنانيته السلطان ومرضه نفسياً حين لجأ إلى الانتقام من الرجال كلهم، وذلك بحلق رؤوسهم، لأن وجود الشعر في الرأس خلق لديه هاجسًا وشعوراً بالقلق وعدم الرضا عن نفسه. وخلق لديه أيضاً الشعور بالحسد على كل من لديه شعر. وهذه الصورة تظهر لنا مقدار طغيانه، لأنه أراد لنفسه، حتى أنه أخذ ماليس له. أي خلق من الشعب ورجال الولاية صورة مشابهة جماعية لصورته الفردية الخاصة، حيث أصبحت {الجماعة = الفرد} بفعل الظلم والقوة.

يظهرفي حوار دار بين الوالي وأعوانه، كل من القاضي ورئيس الجندرمة "طوسون"، ومسؤول الباشبوزغ "جنكيز"جشع كل من هؤلاء الثلاثة ومصالحهم،واطاعتهم لأوامر السلطان عن طرق مختلفة وإنهم يحاولون التقرب من السلطان من أجل مصالحهم الشخصية ومناصبهم، وليس لأجل اخلاصهم ووفائهم للسلطان، وإن أول من قص شعره كان "جنكيز" مسؤول الباشبوزغ عندما قال:-

((جنكيز: إن أول شعر أبدا بقصه هو شعري))[2]

أراد بهذه الخطوة أن يكون أول من ينفذ أوامر السلطان ويستفيد منها من أجل مصلحته. و"القاضي" قام بقص شعره، لكن بطريقة مختلفة، لأنه يعرف في حقيقة الأمر لماذا أصدر السلطان هذا الأمر، وذلك إنتقامًا من ابنته "جميلة"، لأنها حكت لوالده كل ما رأته، وكيف رأت رأس الوالي المليء بالثقوب، والحفر، وابتسم عندما تذكر الأمر، ولكنه في الوقت نفسه كان خائفاً من أن يلحظ أحد ابتسامته فيشكونه، على الرغم من إخلاصه ووفائه لمولاه، وأن يتعرض بسبب ذلك للعقاب. وكذلك تعجب من موقف "جنكيز" في أنه كان أول من قام بحلق شعره،حيث أثنى الوالي على موقفه عندما قال له:-

(1) ينظر: قصة "الفكاهة"، من مجموعة"الأعمال القصصية/ المجلد الأول"، 255.
(2) قصة "الفكاهة"، من مجموعة"الأعمال القصصية/ المجلد الأول"، 255.

((الوالى: باركك الله.... يا جنكيز، لشدة وفائك واخلاصك.. لمولانا السلطان، وفرمانه الشريف، وأنا شخصياً قد سبقتك فبادرت إلى تنظيف رأسي من الشعر وقذارته... أنظر... أنظر. واكتفى برفع طرف عمامته قليلاً،

فبان لحم احمر مبقع، اخفاه جنكيز بسرعة وهو يقبل اطراف عمامته ورأسه:

جنكيز: دائماً لك السبق يا مولاي، دائماً أنت الأول))[1]

لقد زاد هذا الموقف من شكوك القاضي فشك في "جنكيز" أن يكون على معرفة بأمر رأس الوالي، ولذلك قام" القاضي" بالأمر نفسه، لأنه كان خائفاً من الوالي وأعوانه من أن يشكوا فيه. إن هذا الموقف يظهر التناقض في موقف "القاضي" بين حقيقة ما يعرفه من النوايا وسبب اصدار هذا الفرمان، وخوفه من أعوان الوالي، والوالي نفسه، وهذا يجعله من أعدائه عندما قال:-

((القاضي: لاخير فينا إذا لم نحذ حذو مولانا وسيدنا... ونبر ثقته العلية بنا.. تعال أيها الحلاق.. تعال، تعوذ بالله من الشيطان الرجيم وافعل برأسي ما فعلت برأس عزيزنا جنكيز أفندي))[2]

أما "طوسون" رئيس الجندرمة فقد شعربالشعور نفسه من الغيرة والحسد من موقف الوالي تجاه "جنكيز" لأنه بمثابة غريم ومنافس له، وحاول أن يثير القلق والشك لدى الوالي تجاه ما قام به "جنكيز" لمصلحته الشخصية ومنافعه الخاصة لذلك قال في حوار:-

((الوالي: ماذا هناك ياطوسون... صرخ الوالي...

طوسون: الذي اخشاه يا مولانا الكريم... أن يقع الناس في إلتباس.. أو اشكال مثلما حدث لشيخنا الجليل... بأي الرأسين يقتدون.. رأس صديقنا العزيز جنكيز أفندي التي بات شعرها فعلاً بطول السلامية أم برأس مولانا التي...

وانتفض الوالي يقاطعه بحدة:

(1) م. ن، 256.

(2) قصة "الفكاهة"، من مجموعة"الأعمال القصصية/ المجلد الأول"، 256.

الوالى: رأسي... بالتأكيد رأسي، رأسي هي القدوة، فكما لايجوز للولاية واليان، لايجوز للرعية قدوتان أو مثالان... أو... أو رأسان... أخذ يحك رأسه.

طوسون: ونعم المثال والقدوة... وسأكون أول من يفتدي برأسكم العزيزة..)).[1]

إلا أن محاولة "طوسون" فشلت في أثارة" الوالي" بل أكد أنه ليس هناك رأس واحد إلا رأسه الذي ينبغي للكل الاقتداء به، ويكون هوالمثل الوحيد لهم، وهذا يظهر لنا طغيانه وأنانيته مرة أخرى، لأنه لا يريد أن يكون غيره قدوة للناس.

أما بقية الرعية من التجار، والشباب، والشيوخ فقد استسلموا لما أمر به السلطان ونفذوه خلال أربعة أيام بلياليها.وحلق كل من في الولاية شعر رأسه، أما بعض من هؤلاء الناس فقد فعلوا ذلك طمعاً بالمال، ويظهر ذلك في حوار لـ"طوبال" كبير التجار مع وكلائه من التجار الصغار عندما تحاوروا مع بعض :-

((التجار: ويحك ياطوبال ياكبير التجار... ماذا بنفسك فعلت؟

طوبال: سألهم بخبث

كم شعرة من وجهي ورأسي فقدت؟

من بوسعه عد شعرات الوجه ناهيك عن شعر الرأس؟؟

طوبال: وهناك شعر الصدر...

وكشف لهم عن صدره.. وصرخوا:

التجار: الصدر أيضاً؟

طوبال: والساقين أيضاً....

وكشف لهم عنهما.. فاستغرقوا في الضحك.. أخزاك الشيطان وماذا بعد... أيضاً.

(1) م. ن، 256 .

طوبال: أحكموا ما طاب لكم الضحك... أما أنا فبعدد الشعر الذي فقدت أجني من الليرات المجيدية)).[1]

يظهر من هذا الحوار أنه يفعل أي شيء من أجل المال، حتى إذا فقد كل شعرة من جسمه ورأسه ووجهه فلا يبالي بها مادام الأمر من أجل المال. لأنهم سوف يستفيدون من ذلك الأمر، لأن الرؤوس المحلوقة بحاجة إلى عمامات لحماية الرؤوس من الحر والبرد في الفصول كلها، وكل واحد يحتاج إلى أدوات الحلاقة، ولاسيما الحلاقون، وبذلك اصبح عملهم مهماً، لأنهم يربحون كثيراً أما من أجل إقناع عامة الناس فكان لديهم طرق مختلفة، منها المحاولة معهم عن طريق الخطبة والكلام وحكم مناسبة حتى يقتنع الناس عن طريق هذه الأقوال بما يريدون، وأخرى عن طريق استخدام القوة في إنجاح مهمتهم، وكان يتم دخول أزلام النظام عنوة إلى المنازل، والمقاهي، والهجوم عليهم، حيث "جنكيز" قال لأتباعه:-

((جنكيز: إذا إستعصت عليكم رأس، أغرقوها في الماء المغلي))[2]

هذا النص يصور لنا مدى قسوة أتباع السلطان، الذين كانوا يستخدمون كل الطرق لإخضاع الناس، وتنفيذ الأوامر التي تصدر منهم. حتى وصل الأمر إلى أن أحداً من رجال "جنكيز" طبق ما قال له رئيسه بدون أية رحمة على طفل في الرابعة من عمره، دفن رأس الطفل في النهر، ولم يكف عنه حتى توقف الطفل عن الحركة ومات.[3]وهذا يدل على أنهم ما كانوا يعرفون الرحمةَ وليس لديهم أية شفقة حتى تجاه الأطفال الأبرياء الذين ليس لديهم قوة للدفاع عن أنفسهم.

لقد فعلوا كل ما هو شنيع بحق أهالي الولاية فلم يظهروا الرحمة، بل كانوا أكثر ظلماً عندما قال "جنكيز" أن هناك شخصاً واحداً باقياً لم يحلق شعر رأسه، وأن معرفتهم بهذا الأمر كان شيئاً سهلاً بالنسبة لهم، لأن "السلطان" و"جنكيز"لهم عيون

(1) قصة" الفكاهة "من مجموعة" الأعمال القصصية/ المجلد الأول"، 259-260.
(2) م. ن، 262.
(3) ينظر: ن، 262.

كثيرة في الولاية، أي - جواسيس- وأتباعهم الذين يوصلون اليهم المعلومات والأخبار أولاً بأول، وأنهم على دراية بكل شيء يحصل في الولاية. ويظهر هذا في حوارهما:-

((جنكيز: مازالت في الولاية رأس عامر بالشعر والفساد والشر.

الوالي: وتحكم.. رأس من؟

جنكيز: مجنون يدفن نهاره في الخط، وليله في نظم الكلام الفارغ. وأدخل فاه في أذنه: خطيب... "جملية"

الوالي: هاتوه... تا الله لأشوينه أمام عينها. إلي به... إليّ بهما معاً)).[1]

إن جنون هذا الشاب كان يمثل الخطر والتهديد بالنسبة لهم، لأنهم لايسمحون لأحد أن يفكر ويتأمل، لأن التفكير شيء ممنوع بالنسبة لهم، وهذا يمثل الخوف والرعب، لأنهم يعرفون في حقيقة الأمر أن التفكير يعني الحرية والمطالبة بالحقوق والعدالة والمساواة والتحررمن الظلم والطغيان، فكان هذا هو السبب الحقيقي وراء غضبهم على "الشاب"، أما السبب الثاني فهو كان حبيب "جميلة" التي، رفضت السلطان من أجل ذلك البائس المجنون.

كان الشاب يمثل الصوت الوحيد الثائر الذي لايرضى أن يخضع لتلك الأوامر الظالمة، ولايريد أن يحلق شعر رأسه، وهو يمثل صوت هؤلاء الناس كلهم الذين خُنقت أصواتهم في قول مايدور في داخلهم وما يشعرون به من الحزن والأسى لما فعلوه بهم.

والشاب يمثل رمزًا للحرية، وعدم السكوت والرضا على إفعال السلطان وأعوانه، وكذلك يمثل الجرأة والشجاعة في مواجهتهم، فهو ولم يرض أن يقص شعره حتى إذا كان ثمنه أخذ حياته منه. وفضل الموت على أن يكون جباناً مثل البقية. وأراد أن يكون قدوةً لهم لكسر ذلك السكون والجبن الذي خَيم على الجميع، لأن تحقيق الحرية لايكون إلا بالقول والفعل معاً، فلايكون بالبقاء في أماكننا ودفن

(4) ن، 262.

أرواحنا خوفاً وهزيمةً أمام تلك القوة الطاغية. وهذا يظهر في قول الوالي عندما شكل تحدياً وحافزاً بالنسبة لهم عندما قال له:-

((الوالي: لاسؤال ولاكلام، تقص شعرك الآن، حالك حال الجميع. أم نحرقه لك ونحرقك معه؟

وأشار إلى كومة حطب تأكلها بنهم السنة اللهب تتصاعد....

الوالي: هيا... هيا لقد تركت لك الخيار، كن شجاعاً ولاتتردد))[1]

أي عليه أن يرضى مثل الجميع ويخضع لحكمهم، وليس له الخيار في ذلك أو يموت، وهذا يشكل تلك المعادلة:-

{ الحلاقة ← الاستسلام ← عدم وجود الحرية}

{عدم الحلاقة ← عدم الاستسلام ← الحرية}

لقد اختار "الشاب" الموت، عندما قال: في حوار داخلي مع نفسه:-

((ولكنه تصالب وأخذ يردد بينه وبين نفسه:

وإذا لم يكن من الموت بد. فمن العجز أن تكون جباناً))[2]

ثم قام بمواجهة الوالي بصورة فيها ثقة بالنفس والقدرة على التضحية بنفسه من أجل ما يؤمن به

فواجه مصيره بقوة وشجاعة، حين ((لم يجد في نفسه خوفاً يمنعه من أن يبصق في وجه السلطان الجائر أمام الرعية المحتشدة، يسير إلى عقابه الموت حرقاً دون خوف، أو تراجع، أو توسل طلباً للمغفرة أو الصفح))[3]

إن هذه النهاية المؤلمة بحرق الثائر أو البطل في قضية الحرية جاءت من قبل القاص ليقول أن الثورة لم تنته وهي ستحارب كل ماهو شر، فيثورعليه الشعب كلما سنحت لهم الفرصة بذلك. وأن أصوات الحق لا يمكن أن تختفي أو أن تخنق إلى

(1) قصة "الفكاهة"، من مجموعة"الأعمال القصصية/ المجلد الأول"، 263.

(2) م. ن ،263.

(1) نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكنة الابداعي، مجموعة من المؤلفين، إعداد وتقديم، غنام محمد خضر،136.

الأبد، ولا بد أن يأتي يوم ينتصر فيه الخير على الشر، والحرية على الاستعباد والظلم. والنهاية كانت متفقة مع عملية "الولادة" التي تعني الحياة والخلق من جديد واعطاء الأمل بالحرية والثورة القادمة، وذلك عندما احترق لحم جسد "سعيد"و"جملية" في النار، عندما أمر الوالي بحرقهما ويظهر ذلك في حوار "الشاب" مع "الوالي":-

((الشاب: أنت من يأمرني بالاختيار؟
أجاب الوالي منفوخاً:
الوالي: أنا بعينه...
الشاب: اذن خذ في عينيك.
وبصق في وجه الوالي بصقة كبيرة جنّ لها وأخذ يصرخ:
الوالي: إلى النار...ألقوه في النار
ومن بين الحشد اندلعت (جميلة)كاللبوة الجريح:
جميلة: سعيد حبيبي
ولم يكاد يتعانقان حتى راح الوالي يرفس ويخور كمن يلفظ أنفاسه الأخيرة:
الوالي: في النار...كلاهما في النار..كلاهما إلى النار.....)).[1]

(1) قصة "الفكاهة"، من مجموعة"الأعمال القصصية/ المجلد الأول"،263.